قضية ثقافية :

أجهزة السادات أدخلت "متولي حسين الجندي" مستشفى الامراض العقلية بالتهم التالية :

عارض في أوراقه الخاصة زيارة السادات إلى "اسرائيل"

اكتشفوه يكتب قصة عن آلام أم لطفلة قتلت في مدرسة "بحر البقر"

نشر تحقيقاً في "الاهالي" عن شقق القمار والدعارة .. والفقراء المحرومين في شوارع الاسماعيلية

« متولي حسين الجندي » ، فلاح مصري ، عمل لفترة كشرطي نظامي ، ثم ترك الخدمة متوجها للاعمال الحرة ودراسة الثانوية العامة ، بعد ان حصل على الشهادة الاعدادية .

« متولي » هذا له نشاط ثقافي ، فهو يكتب قصصا ، ومقالات منها مقالان ، الاول بعنوان « فلاح السبع آبار » يتحدث عن حرب فيتنام ، نشر في مجلة « الطليعة » المصرية ، قبل ان يقزمها السادات . والمقال الثاني بعنوان : « المنبر الذي اريده » نشر في مجلة « الطليعة » ايضا ، ونعيد نشره في مكان اخر في صفحاتنا الثقافية هذا العدد .

قصة « متولي » تختصر معاناة الشعب المصري في ظل نظام الخائن « انور السادات » ، المعاناة الاجتماعية والثقافية ، وتعطي صورة واقعية عن حقيقة « ديمقراطية السادات » .

هذه « القصة » سيرويها « متولي » نفسه ، من خلال رسالتين ارسلهما لصديقه من مستشفى الامراض العقلية ! وصديقه هذا طبيب يعمل في اوروبا ، وقد ارسل لنا صورتين عن رسالتي « متولي » ... سننشر الرسالتين بعد حذف ما يمكن ان يضر بعائلة « متولي » وبالصديق الطبيب ، من تفاصيل شخصية جدا .

علاقة هاتين الرسالتين بالصفحات الثقافية ، تنبع من علاقة ثقافتنا بما هو سياسي واجتماعي واقتصادي ، وبكون « متولي » الفلاح كاتبا صادقا ووطنيا ... ولان الوطنية حسب مفهوم السادات واجهزته القمعية مرض عضال يجب مكافحته ، فقد القي القبض على « متولي حسين الجندي » وادخل قسرا مستشفى الامراض العقلية ...

ننشر هاتين « الرسالتين » ليس فقط من اجل التحريض ضد السادات، وليس فقط من اجل فضح نظام السادات ، انما ايضا وفي الاساس من اجل ان نقول شيئا صريحا ليس للسادات فحسب بل لكل الانظمة الرجعية العربية وغير العربية ... لكل من تسول له مصالحه الحقيرة ان يسلط سيف القمع الخياني على رقاب الشعوب والمثقفين ، من اجل ان نقول : ان الحقيقة اقوى من الانظمة ، واشجع من الجلادين ، وان شعبنا قادر ان يقتحم غرف نوم الجلادين ... وان صيحات جماهيرنا قادرة ان تعبر كل حواجز الحدود ، وان كلمات المثقف الوطني تقتلع باجنحتها قضبان الزنازين ، وتصل الى كل الرفاق ، في كل شبر من هذه الارض ...

فلنناضل من اجل اطلاق سراح « متولي حسين الجندي » ، ومن اجل اخلاء المشافي العقلية من السجناء الوطنيين ، لان الوباء الذي يجب مكافحته هو الخيانة والقمع .

لنعلن موقفنا ولندعمه بالممارسة : لا « لديمقراطية الانظمة » ، نعم لديمقراطية الشعوب ...

« وقائع أولية »

كتب الفلاح الكاتب « متولي الجندي » الى صديقه الطبيب قائلا :

« عندما انشىء حي الشيخ زايد لاسكان اهالي الاسماعيلية الذين لا سكن لهم ، والعائدين من الهجرة ، تحولت هذه المساكن الى « منجم مال » للصوص سرق الاسمنت والحديد ، وتمت مقاولات وهمية ، وسجلت اوراق وهمية ايضا ليس فيها غير أرقام ، وترتب على هذا تصدع بعض العمارات ، وكان الصمت والتستر على الكبار هو الشعار المرفوع والمنفذ ، لتصبح الشقق لمن يدفع . وقامت سوق للرقيق وشقق للدعارة وحصل القوادون واللصوص على المساكن بسهولة . اما فقراء المدينة الذين لا يملكون مالا للرشوة وعرضا للسهرات ، فقد ظلوا في اكواخ او مساكن تفوق قدرتهم على التمترس بها . وكنت واحدا من هؤلاء الناس ، وحصلت بموجب طلب لسكرتير المحافظة المساعد السابق من عام ونيف ، حصلت على خطاب من المجلس لاعطائي شقة . ولكن مع مضي الوقت ضاع مني الخطاب وبقيت معي صورته معتمدة من المجلس . ومنذ اربعة اشهر مضيت لاقيم في المنزل ، لانه ليس لدي مكان آخر استطيع ان اقيم فيه . ففوجئت بأن « مواطنة » معها خطاب يبيح لها الاقامة في نفس شقتي باعتبار والدها عضو في المجلس . ولما كان طلبي مقدما باليد ، فكان اخفاؤه سهلا ، وبعد ان اصبح الخطاب الذي بحوزتي لاغيا عمليا ، تقدمت بعشرات الشكاوى وحررت المحضر عريضة رقم ٥١٠ البستان لعام ١٩٧٧ م ، وقال لي السيد سكرتير عام المحافظة في لقائي معه يوم ١٥ / ١٠ / ١٩٧٧ ، امام السيد مدير الاسكان بالمحافظة : لقد ثبت ان الشقة لك فلا تخرج منها . وتكرر نفس القول يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٧٧ امام اللواء « احمد كامل بيومي » نائب مدير الامن السابق الآن مدير شركة ـ . وتصرر المحضر رقم ٧٦ اداري الشيخ زايد لعام ١٩٧٧ في ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٧ ، بهذه الموافقة .

اما لماذا اعلمك يا صديقي بالتفاصيل السابقة ... فلما يلي :

اليوم ١ / ١١ / ١٩٧٧ ، عندما كنت عائدا للمنزل الساعة الثانية عشر ليلا ، رأيت بعض المنازل التي بجوار منزلي ، مفرغة وأثاثها ملقى في الطريق لان ساكنيها فقراء لا نصير لهم ! . لقد قامت « شرطة المرافق » ! بأفعال تفوق ما كانت تقوم به قوات العاصفة النازية ، وعصابات الهاجاناه في دير ياسين وكفر قاسم آلاف المرات !

لقد بكيت عندما ترك الاطفال في الطريق مع الاثاث المحطم والتلفزيون والبوتوجاز .. « رجال » الشرطة يضربون غلاما صغيرا ضربا مبرحا ، يحطمون الابواب ويدفعون امرأة الى الطريق ، لان صاحب المنزل او من دفع الاتاوة يتميز بعقد من المجلس ، رغم قرار المحافظ !

كل هذا يحدث في حي « الشيخ زايد » ، وأحياء غيره من اصحاب المسابح والعمامات .. فيا صديقي ساكتب اليك مستقبلا من السجن ، ان لم انقل الى دار الفناء !! . وسيعلم العالم كله وكل الشعوب الصورة الحقيقية لشعبي .. لقد كتبت عن هذا الموضوع للمحافظ وعليه ان يتحمل المسؤولية كاملة .. لان هذا قدره . انا لا اكتب لك خوفا .. ساكتب اليك بكل الحقائق لان الوقت قد يطول ، ولكن لو جرى لي شيء ما .. ستكون كل الحقائق معك اينما كنت .. واخيرا ارجو ان يشفى شعبي من جراثيم اللصوص والقوادين وتجار الشعارات .

« اخوك متولي » .

« الرسالة الثانية »

بعد عام ، كتب « متولي رسالة ثانية الى صديقه الطبيب في اوروبا هذا نصها :

« اخي العزيز .. / كل عام وانت بخير وسعادة وجميع الاسرة ، والمولود الجديد ان كان قد خرج الى هذا العالم ، في ظل الامل والحب ورعاية خير أب .

اكتب لك الآن عن أرهب مكان في العالم ، يفوق كل خيال صورته كتب الرعب . انه عالم مستشفى الامراض العقلية بالخانكة ، الذي اعيش الآن فيه معرضا للموت لابسط سبب ، حتى لو كان اكتشاف رسالتي هذه اليك .

بلا عتاب ولا قانون ولا ضمير ادخلوني هذا السجن الرهيب ، فقط لانني كتبت في اوراقي الخاصة اعارض المبادرة ، واكتب قصة عن آلام ام لطفلة في « بحر البقر » .. وكان هذا في عرف مباحث أمن الدولة جريمة ، ومعارضة لكل القوانين .

وفي نظر الاطباء النفسانيين الذين ستكون يا صديقي واحدا منهم ، اعتبرت « فعلتي » جنون .

قصة « متولي » كاملة

واليك القصة ، لكي ألقي عبء مشاكلي عليك ! وأنا آسف لان هذا الامر يحجب عني اي شيء آخر ، مهما كان الحال .

في أول « ماي » تقريبا من العام السابق (١٩٧٧) ذهبت للعيش في حي الشيخ زايد ، واخذت بيتا صرفيا فيه ، بناء على توصية سكرتير مساعد المحافظة عام ١٩٧٥ ، ولكني وجدت ان هناك عشرات الشقق تؤجر للقمار ولغير المستحقين ، فكتبت عنها للسيد المحافظ . وكانت هذه الشقق لاعضاء في حزب الوسط الحاكم الذي هو حزب السادات اليوم . فأخفوا اوراق سكني من المجلس ، واصبح وجودي في مسكني غير شرعي !

المهم كنت أذاكر لاحصل على الثانوية العامة ، وهذا يلقي علي عبئا لامكان لعبء آخر يضاف اليه . ولكن واقع الفقراء والبؤساء أمثالي ، وهم يعيشون كل عشرة اشخاص في حجرة ، ويلقون حينما يريد الاغنياء رجال النظام في الشوارع كأنهم أعداء ، هذا الحال جعلني اقف معهم ، فكتبت عنهم تحقيقا صحفيا لجريدة « الاهالي »، وصدرت بهذا الخصوص بيانات للحزب (حزب التجمع) .. وكان الصراع مع هذه العناصر وبينها المجلس المحلي بالكامل ، والمحافظة واعضاء مجلس الشعب . وحاولوا شرائي ، ولكن الفقير لا يملك غير شرفه ، ويوم يباع هذا الشرف ماذا سيبقى له .. حاولوا التهديد ، وحصل تعاون بينهم وبين كبير لصوص المواد التموينية والاخشاب والحديد ، ويدعى « عبد الستار عبدون » ، ويسمى بالطفل المدلل لعثمان احمد عثمان .. ذهب « عبد الستار » هذا الى منزلي ليقتلني بالنار في وضح النهار . وشهد عليه الجيران ، وبعثت برقية التفاتة الى رئيس النيابة يوم ٢٠ / ٥ / ١٩٧٨ ، الساعة الخامسة مساء تقريبا ، فما كان من مباحث أمن الدولة الا ان جاءتني في الساعة الثانية فجرا من نفس الليلة ، فاقتحمت المنزل دون اذن نيابة ، وارتكبت من الجرم في طريقة التفتيش ما يفوق الخيال : القصص ورقة ورقة . المراتب تفتح . الزوجة لم ينتظروا منها حتى ان ترتدي ملابسها الكاملة . الاطفال ايقظوهم من النوم ! ... وبعد هذا يقبض علي الباقي بتهمة النية على توزيع بيان الحزب الذي يعارض الاستفتاء ! .. وغير ذلك من التهم . يفرج عن آخرين بالضمان المالي ، وارحل انا الى السجن ومنه الى المستشفى ، وتصدر التعليمات لدكتور يدعى « أحمد نابل قطري » اجهل العارفين بعلم النفس .. فيكون تبريره لجريمته بحقي : انا عندي اولاد !

تصور : قدمت له رقم جلوس الثانوية العامة ، وشهادة تقدير في القصة ارسلتها لك في رسالة سابقة ، فيقول : لا دخل لي ...

وهنا في مستشفى الخانكة قسم للمتهمين ، يعامل فيه القاتل بكل احترام ، أما الذي يعامل ـ بضم الياء وفتح الميم ـ حتى الموت ، ، فهو السياسي ولو كان غير مريض ، فهو يعارض الحكومة ، ودمه حلال .

تصور أطفالي بنات يتامى الام يحكم عليهم ان يعيشوا في ظل الحرمان من الحب والرعاية ، لانني تصورت ان الحق اكبر من القوة . وغير ذلك فهم معرضون للطرد من المنزل لان الاوراق ليست معهم ، رغم ان هناك اكثر من مستند منها محاضر النيابة ، ولكن يكفي انهم أولاد « متولي الجندي » ليلقوا الى الجحيم ... بالمناسبة : ما رأيك لو تبنيت حملة من عندك للبحث عن مشتري لاسرة كاملة ؟! ..

ثلاث بنات وزوجة (ليست أمهم) .. على شرط ان تعلق انهم مصابون بمكروب حب الوطن . حتى يكون العرض امينا ، على ان يكون العرض على سفير مصري في اوروبا مثلا .. وجمع التبرعات لهذه الاسرة لتجد ما تفتات به .

والغريب يا صديقي ان ما حدثتك به يجري في ظل كلمات عن الديمقراطية ! . ويذهب المحامي للنيابة ، فيقولون له : لا قضية هناك .

ولكن الانسان المسجون في المكان الرهيب ، لماذا هو مسجون .. لانه متهم بماذا ؟ .. بالمحضر رقم (٤) « احوال أمن دولة لعام ١٩٧٨ . الاسماعيلية .. » ـ غريب ، ولكن قلتم مريض . لماذا هو مريض ، لانه كان يكافح منذ عشر سنوات ، آلان ...

ما هو الجنون في انسان يسجل افكاره حتى لو كانت ضد الفرعون ... ما هو الخطر ... قال هنا خطأ ... ما هو الجنون ؟ ... العقل ان يكون الانسان اخرسا واعمى ، واطرشا .. ولكن هل هناك أمة يمكن ان تعيش او تتقدم اذا كان هذا هو مقياس العقل فيها .. ؟!

سؤالي لك ـ يا صديقي ـ ولكل مصري ، ولكل حر في العالم ..

اخي : آسف لاني القي اعبائي عليك ، وآسف ان كنت لا أرسل للاسرة في (...) لان ظروفي كما ترى لا احسد عليها ، والحزب عبارة عن روتين ... ونظرا لان مركزي الاجتماعي لا يسمح لي بالحق في الكلام ، لاننا في امة كما تعلم نشأت على عبادة الاصنام ، مهما اختلفت المسميات . السؤال هو دائما : ما هي وظيفتك ، ما هو مؤهلك ، وكان الوطنية حكر على طبقة بعينها .. ومن هذه النقطة اعترف بجنوني ..

ولكن لي سؤال ، وجهه لسفراء مصر ، ولكل مصري وكل حر لديك : هل من الافضل للمجتمع ان اكون وسط اولادي ارعاهم بالحب والحنان ، وآمن بجانبهم وسط غابة الحياة ، خاصة وهن بنات ، احميهم من التشرد .. ام الافضل ان احجز في باستيل القرن العشرين مع الفرق الشاسع بين « جنة الماضي » جحيم الواقع .. هنا الاتوات علنا، والقفل لكل من يفتح فمه ، والقاتل مريض والقتيل مريض ... ولا عقاب لجاني . والطبيب هنا سجان بغير قلب . الصدمات الكهربائية تعطى بيد مريض . تصور لا طبيب . لا شيء هنا يدل على وجود ضمير او قانون ، او حتى خيال لالة ...

والمدد هنا لا تقل عن خمس سنوات للقاتل الذي يدخل اما مريض فعلا ، واما بدافع رشوة ، لان الذي يقرر المرض طبيبا يدعى « احمد نابل فطري » ومدير العباسية لا يرى المريض غير ثلاث دقائق بعد سبعين يوما او سنين احيانا داخل سجن ، وسط عنبر مغلق ليلا نهارا .

ولكن في مصر أم العجائب كل شيء معقول ما دام ينفذ بواسطة القوة الجائرة . ولكن السؤال